

التعريف والنقد

المعلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين

تأليف محمد المنوني

أخرج هذا الكتاب «مهذب مولاي الحسن» وطبع في المطبعة المهديّة بتطوان . وهو يقع في ما يزيد على ثلاث مئة صفحة . جيد الورق ، حسن الطبع .
قدم الكتاب الأستاذ عبد الله جنون بمقدمة قال فيها : «هجم الأستاذ المنوني على موضوعه ، ولم يتناوله من ذبوله ولا من أطرافه . بل قصد إلى اللب والصميم . وترك اللف والدوران . وإن كان قد قدم بين يديه مقدمات فإنها مما يرتبط بمادته تمام الارتباط . . ثم هو قد رتبته ترتيباً طبيعياً فتناول العلوم ثم الآداب ثم الفنون . وهذه أيضاً تناوّلها بالنظام الكامل ، والترتيب الواجب اتباعه في كل منها . فالسلسلة متتابعة الخلفيات ، والأفكار متسلسلة لا يجد القارئ أدنى عنق في الربط بينهما ، أنها في ذلك النظام والترتيب لغربه بالمطالعة والاسترسال في القراءة حتى يفرغ من كل بحث وقد أحاط به . .»
وهذه كفة صادقة ، في هذا الكتاب القيم ، تصفه أحسن وصف .
يتناول المؤلف في كتابه «طابع دولة الموحدين ، والمؤثرات التي أثرت في نهضة المعارف على عهد الموحدين ، وازدهار المعارف بالغرب . ومعاهد التعليم وأساليبه : المدارس - الجوامع - التعليم الاجباري - كتب الدراسة . ثم المجامع العلمية : مجامع الخلفاء - مجامع الأمراء» .
ووصف قيام دولة الموحدين فقال : «كذت حالة العالم الاسلامي في الوقت الذي قامت فيه دولة الموحدين لا تبعث على الاضطئان . فالدولة العباسية بالعراق ؛

ودولة الفاطميين بمصر بلننا الى صور الهرم الزمن الذي لا يقام بعده . ودولة المرابطين بالمغرب ، كانت كآفرة بحسبة في نظر المهدي بن تومرت : مؤسس دولة الموحدين

وكان ابن تومرت هذا قد ساح في الشرق وأخذ عن الفزالي ، وابي بكر الشامي ، وابن عبد الجبار ببغداد ، وعن ابي بكر الطرطوشي بمصر . وفي المغرب حيث قرأ على ابن حمدين بقرطبة من الأندلس . وعائين حضارة هذه البلاد التي صاح فيها وتشبع بأفكار أديها عامة ، وبخاصة أصانته ، وبصفة أخص الفزالي . وأدرك خطر الحالة التي عليها العالم الاسلامي ، وقدر ان علاجها ليس في تأسيس امارة او مملكة ، بل في انشاء خلافة اسلامية عامة ، تضم تحت لوائها العالم الاسلامي بكامل حدوده ، وتقوم زعامتها الدولة الموحدية ، ولأجل أن تؤدي هذه الدولة مهمتها احق تأدية أراد ابن تومرت ، ومؤسسوها من بعده : ان تكون حضارتها مطبوعة بطابع العظمة والدين والتجديد في سائر مظاهرها . .

ويضي المؤلف فيبين عمل دولة الموحدين في هذه النواحي الثلاث ، بالوقائع يسردها ، والأمثال يضرها . من تأسيس المستشفيات والمدارس ودور الكتب العامة ودار الضيافة ، وما كان لهم من عمل في الحرب والادارة ، وما انتشر على عهدهم من العلوم والآداب والفنون ، وما استقدموا من أجل ذلك من علماء ، أنفوا الكتب ، وعقدوا مجالس المناظرات والمحاضرات . واجزلوا للمشتغلين والمجاهدين الجوائز والأعطيات . فاجتمع في دولتهم من رجال العلم في مختلف فروعها : من فقه ولغة وطب وهندسة ، ما قل أن اجتمع لغيرهم مثله . وكانت لهم مدرسة لتخريج العمال ومدرسة لتعليم فن الملاحة .

يقول : « وكانت العادة ان لا ينتصب للتدريس في الجامعات الكبار إلا من انتهت اليه المهارة في العلم والدين في وقته وكان التلاميذ يبرنون على انواع الرياضات . . تأثروا بالفزالي : شيخ امامهم ابن تومرت ، في شي »

غير قليل من تلك الأنظمة ، فأنهم قلده في ادماج الرياضة في مناهج التعليم ، هذه المسئلة التي أهملت بأوروبا في القرون الوسطى ، وأحيائها الموحدون تبعاً للفرازي الذي يقول في الاحياء : - ويمرّد الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يظلب عليه الكسل وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف . من الكتاب ان يلعب لعباً جميلاً يترجح اليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منبوع الصبي من اللعب ، وارهائه الى التعليم دائماً يمت قلبه ، ويبطل ذكاهه ، وينغصص عليه العيش حتى يظلب الخيلة في اخلاص منه رأساً - وانهم كانوا يرمون بهذا الى قرن الخدمة العسكرية والتمرين في فنون الحرب بالتعليم ، ذلك انهم كانوا يخشون ان يؤدي الاتقطاع للمعلم والدرس ، الى اخفاف الحمم وفتور الحماسة الخرية . . . » .

ثم يذكر المؤلف : ما كان للموحدين من اثر في تعليم النساء ، ويمدّد الشهيرات منهن ، ويأتي بقطع من شعرهن وشرفهن .
ثم يعود الى العلوم : الدينية ، واللسانية ، والعقلية ، والتاريخ ، والجغرافية ، وما يتعلق بها ، ويتصل اليها بسبب ، فيتكم عليها ، ويذكر ما كان من ارتقائها وتقدمها في عهد الموحدين .

ثم ينتقل الى الآداب فينوّه بنهضتها ومميزاتها ، ويمدّد اسماء بعض الناهيين في ذلك المهد . ويمرّز بحشه بطائفة من بليغ التوقيعات والخطب والمراسلات والمنظومات . ويختم بحوثه بـ « الفنون ونهضتها والصناعات والدخائر والآثار والبناء من قصور وجوامع ودور وحمامات وخانات ، ومصانع للسفن والسلاح والورق والمعادن الى أمثال هذه الأمور الحيوية ، والموضوعات القيمة التي لا يستغني عن الوقوف عليها معني^١ بالعرب والاصلام وتاريخهم ، ولا سيما تاريخ المغرب .
والكتاب صحيح العبارة سهلها .
فتشكر للمؤلف جهده ، وللمهد مولاي الحسن عنايته بالعرب وحنانهم وتاريخهم .

•••••